أيها الناس

افرحوا بالأعياد والمواسم

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

شهد الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر الماضى عيدين متقاربين : عيد الأضحى ، وعيد الميلاد ، ثم أعقبهما عيد رأس السنة الميلادية ، وبعد أيام أخرى حل عيد رأس السنة الهجرية ، فكان اجتماع هذه الأعياد مثار موازنة بين استقبال الطوائف المختلفة لأعيادها العامة ، موازنة تصلح للنظر فى طبائع هذه الطوائف وللفكرة العامة عن الحياة فى عرف كل منها .

والاحتفال بالأعياد يقوم فى أول أمره على تقديس المناسبة التى يسمى بها العيد وإحياء ذكراها سواء أكانت هذه المناسبة مولد نبى أو زعيم ، أم نهضة قومية أو فكرية أو دينية ، أم موسما من مواسم المحاصيل التى كانت فى الزمن الغابر تقترن بتقديم القرابين للآلهة من بواكير هذه المحاصيل ... إلى آخر المناسبات التى تقام لها الأعياد .

ولكن هذه الأعياد بتقادم العهد قد تتجرد من الحافز الأول ، وتصبح مقصودة لذاتها ، فتعود بذلك إلى البعث النفسى الحقيق على كل عيد ومهرجان ، وهو الرغبة فى الابتهاج والحبور والنشاط والانطلاق من قيود الحياة اليومية ومن مشاغلها العادية .

فالأعياد — بهذه الصفة — محطات فى طريق الحياة الطويل ، يأوى اليها المجهدون من أعباء العيش والنضال ، فيلقون بأثقالهم عندها ويتخففون مما يوقر ظهورهم ونفوسهم من الهموم والمشاغل ، ليتفرغوا — فى يوم أو أيام معدودة — للنشاط الخفيف والمرح الوثاب ، وليغيروا من " الروتين " المعادى لحياتهم ، ويخرجوا منه إلى الطلاقة التامة .

والاحتفال بالأعياد على هذا الوضع لاينفى أن تبقى للمناسبة الأولى ذكراها ، وأن تكون هذه الذكرى ملحوظة فى كثير من التصرفات والتوجيهات ، وأن تحتفظ الأجيال بالشعائر الدينية أو التقليدية لهذه الأعياد منذ نشأتها ، بل ربما كان فى هذا الاحتفاظ مايزيد بهجة العيد ويفسح فى متعة المحتفلين به لأنهم يجمعون بين الدنيا والدين وبين الحاضر والماضى فى مناسبة واحدة .

وحين نحاول النظر فى طريقة احتفالنا بالأعياد وطريقة احتفال الطوائف الأجنبية التى تقيم بيننا نجدهم قد أحسنوا الانتفاع بها من الوجهتين النفسية والاجتماعية ، بينما تخلفنا نحن فى هذا المضمار ، حتى لتمر أعيادنا ميتة ، وتنطلق أعيادهم زاخرة بالحياة .

ففى ليلة "الكريسماس" كما فى ليلة رأس السنة كانت مدينة القاهرة — على مايخيم عليها من الظلام والكآبة فى هذه الأيام — تكاد ترقص مرحا ونشاطا بما ينطلق فى أرجائها من ضحكات ، وما تمتلئ به نواحيها من قفزات ، وبما تعمر به القلوب من البهجة والسرور والأمل والاستبشار .

وبات الأطفال فى ليلة " الكريسماس" يحلمون "ببابا نويل" وما يعده لهم من الهدايا الجميلة بطريقته اللطيفة المحبوبة التى تناسب خيال الأطفال وتضاعف البهجة بالهدايا التى يحملها ! . كما باتت كل ربة بيت تبتكر وسائل التفريح والتفريح لبيتها وزوجها وأبنائها ، وكذلك كان يشغل زوجها مايشغلها حتى تبزغ شمس ذلك اليوم وكأنها شمس جديدة ، فاذا الجميع فى نشوة بمطلعها الجديد .

أما اليوم نفسه فهو عيد . عيد حقيقة لامجرد اسم أجوف . عيد كل شىء فيه جديد : الملابس والطعام والأفكار والآمال . عيد تمتلىء الحياة ويتفجر منه النشاط ، وتنطلق الأصوات المرحة تجاوبها القفرات النشيطة ، وتصفق القلوب مع الأكف ، تحية للحياة وتطلعا إلى المستقبل وتخففا من الماضى .

* * *

أما نحن فكيف مرّ بنا عيد الأضحى وعيد رأس السنة الهجرية ، بل كيف تمر بنا الأعياد على الدوام ؟

تمر راكدة باهتة حزينة ، وأبهج مانصادفه هو بعض الثياب الجديدة الصارخة الألوان على أبناء الطبقات الفقيرة ، ومرامير القصب فى أيديهم ، وبعض الحلوى التى يتلاهبها منهم الذباب .

وهؤلاء — مع ذلك — أعرفنا بالعيد وأحسننا تصرفا به وذوقا فى استقباله ، أما الآخرون ففيما عدا " ذبح الخروف " وصنع الكعك والفطائر فقد انقلب الرجال إلى المقاهى فى جلسة رخية بليدة ، أو أخذوا يطوفون بصناديق البريد الخاصة لوضع بطاقات العيد كسعاة البريد خوفا من أن يتقاهم رب الدار ، وانقلبت السيدات إلى المطابخ يهيئن الأطعمة الدسمة المؤذية للعدة . وكان الله يحب المحسنين .

ولقد كان الريف المصرى — ومايزال — خيرا من المدن استقبالا للأعياد ، فلا تزال للعيد بعض بهجته ولا يزال موسما للتزاور وللبس الجديد ، وللفرح بمقدار ماتسمح روح الفقر والبؤس المخيمة هناك على الربوع .

إن كثيرين منا يحسبون من الترفع ألا يحتفلوا بالعيد احتفالا صاخبا ، و ينظرون إلى لبس الجديد فى هذا اليوم و إلى العناية بمراسمه والخروج على العادات المألوفة بمناسبته ، نظرة المستهزئ المستصغر ، لأن الرقى فى نظرهم أو العقل أو الوقار يتنافى مع الانطلاق والابتهاج فى هذه المناسبات .

وذلك خطأ أكبر الخطأ ، فالفرح عنصر إنسانى أصيل ، بل هو دليل على نشاط النفوس وقوتها ؛ وكثيرا مايكون الترفع والتوقر مظهرا من مظاهر الفراغ النفسى والفقر الوجدانى ، ودليلا على انعدام الانسانية فى النفس البشرية .

فافرحوا أيها الناس فى هذه الأعياد والمواسم القليلة حتى تروحوا عن نفوسكم وتستعيدوا نشاطكم فى مرحلة الحياة الطويلة .

على جمال الدين

تصحيح

فى العدد الماضى من هذه المجلة جاء فى مقال حضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا أن مساحة الأراضى الزراعية والقابلة للزراعة فى مصر لاتزيد عن ٣,٥٠٠,٠٠٠ كيلومترمربع والصحيح أن مساحتها كما قال سعادته ٣٥,٠٠٠ كيلو متر مربع .